وقد تبيّن من استطلاع قام به معهد الديانة اليهودية الانسانية العلمانية بين أوساط المهاجرين من الاتحاد السوفياتي، ان هناك نسبة ٨١ بالمئة من المهاجرين يصفون أنفسهم بأنهم ليسوا متديّنين، ومعظمهم لا يعرف شيئاً عن الديانة اليهودية؛ وان حوالى نصف المهاجرين السوفيات وصفوا اليهودية بأنها ليست ديناً، بل ثقافة وتاريخاً من انتاج اليهود أنفسهم[١٧].

ولا يقتصر الامر على ان الغالبية العظمى من المهاجرين اليهود السوفيات ليست متديّنة، بل إن قسماً كبيراً من المواطنين السوفيات، من غير اليهود، زوّروا أوراقاً في الاتحاد السوفياتي تثبت انهم من أصول يهودية، وذلك للاستفادة من قانون الهجرة السوفياتي الذي كاد يحصر حق الهجرة الى خارج الاتحاد السوفياتي باليهود، دون سواهم من المواطنين السوفيات.

وقد فجّر وزير الاستيعاب، الحاخام اسحق بيرتس، قنبلته الاولى في وجه المهاجرين السوفيات، عندما أعلن في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠، ان «ما يتراوح بين ٣٥ ـ ٤٠ بالمئة من المهاجرين السوفيات الذين وصلوا اسرائيل هم من غير اليهود». وتعرّض الحاخام، الذي عبّر في موقفه عن تخوّفات اليهود المتديّنين من المهاجرين المشكوك في يهوديتهم، لحملة قاسية شنّتها الصحافة الاسرائيلية ضده، وضد المتديّنين الاسرائيليين الذين نادى عدد منهم بتطبيق مقاييس صارمة للتأكد من يهودية المهاجرين السوفيات.

وبعد أسابيع، عاد الحاخام بيرتس الى طرح مسألة تعديل قانون العودة بسبب ما أسماه «صناعة كاملة في الاتحاد السوفياتي لتزييف اليهودية»، باعتبار ان الهجرة الى اسرائيل هي الفرصة الوحيدة المتاحة للمواطنين السوفيات لمغادرة بلادهم. وقد أيّد نائب وزير العمل والرفاه مناحيم بروش أقوال بيرتس، وحذّر من ان هجرة من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ستضع أمام الاسرائيليين مشكلة جديدة في المستقبل روسية المضمون الى جانب القضية الفلسطينية[١٨].

وعلى الرغم من الجدل الواسع الذي أثارته أقوال الحاخام بيرتس، فقد عاد، بعد أيام، الى تأكيد أقواله السابقة، مؤكداً «ان لديه وثيقة شخصية وهامّة جداً؛ وهذه الوثيقة تحدّد ان اسرائيل تسلّمت تقريراً يوضح ان ٣٥ بالمئة من المهاجرين ليسوا يهوداً[١٩]، وانهم قد حصلوا على شهادات مزوّرة تقول انهم يهود لقاء مبالغ تصل الى ١٥٠٠ روبل»[٢٠].

ان موقف الحاخامية الاسرائيلية والقوى الأصولية في اسرائيل يعكس المخاوف التي تنتاب هذه القوى من طغيان المدّ العلماني على اسرائيل؛ وبالتالي تراجع النفوذ الاصولي الذي بدأ يتغلغل في أوساط الاسرائيليين، ويقترب من مركز القرار في اسرائيل.

أمّا من الجهة المقابلة، فان حماس الصهيونيين العلمانيين لاستقبال المهاجرين السوفيات، وتساهلهم في تطبيق المعايير الدينية على هؤلاء المهاجرين، انما يعكس خوف العلمانيين من تزايد نفوذ المتديّنين، ورغبتهم في ترسيخ الطابع العلماني للمشروع الصهيوني.

الأساس السياسي

نظر المستوطنون الاسرائيليون، تاريخياً، الى الهجرة باعتبارها رافداً هاماً من روافد القوة للمشروع الصهيوني. ففي كيان استيطاني يعيش في حالة صراع دائم مع محيطه الاقليمي، ويوظّف معظم طاقاته البشرية والاقتصادية لادارة هذا الصراع، فان الهجرة تحمل مضموناً ايجابياً لهذا الكيان، حيث تزيد في قدرته على الصمود، وتعزّز قوته العسكرية، والاقتصادية، والبشرية.